

جماعة توغيلت ..الوضع التنموي الراهن ومأزق سؤال
التنمية بمجال الجماعة؟

(1)



تعيش بعض الجماعات الترابية المتواجدة في المدارات القروية جملة من إشكالات التنمية. ولعل أسوء اشكال يمكن تصنيفه من مجموع المشاكل التي تعرفها بعض الجماعات الترابية-والقروية بالخصوص هو غياب بعض الخدمات الأساسية التي تعد العمود الفقري ومؤشر من مؤشرات التنمية في المجال؛ فالخدمات الأساسية مثل خدمات الصحة والتعليم والبنية التحتية من طرق ومسالك وكهرباء وماء شروب... إلخ. تعد بلا منازع مظهرا من مظاهر التنمية بالمجال، والعكس صحيح، حيث غياب بعض الخدمات الأساسية أو وجود تفاوت تواجدها بين دواوير جماعة ترابية ما يعد وضع مجالي غير مرغوب فيه، وفي نفس الوقت واقع مجالي يحتاج إلى التدخل الفوري من قبل الفاعلين.

تتعدد أسباب وعوامل وجود جماعة ترابية-قروية في مأزق؛ غياب بعض الخدمات الأساسية أو محدودية نسبة الاستفادة من تلك الخدمات نظرا لعوامل ترتبط بالفاعل الترابي (الإداري، التقني، السياسي، الجمعي) من جهة، ومن جهة أخرى ترتبط بشروط الطبيعية (طبيعة التضاريس، نوع التربة، خصائص الفرشة المائية...). ويصنف مشكل محدودية مالية الجماعة من بين أهم متغيرات التي يتحدث عنها الفاعل الترابي ويحتاج بها باستمرار (جماعة فقيرة، مداخيل الجماعة واعتماداتها

الاستثمارية محدودة جدا)، وهلم جرا من مسوغات "فشل" في تنزيل السياسات العمومية على المستوى المحلي من قبل مدبري الشأن المحلي هناك منذ سنوات لليوم.

ومن المفارقات، في المجال الترابي المغربي-القروي، تجد جماعات متشابهة إلى حد تطابق، وفي نفس الامتداد الترابي (الجهوي، الإقليمي)، تتفاوت من حيث توزيع الخدمات الأساسية، إذ تجد جماعة ترابية استوفت نسبيا تحقيق الخدمات الاجتماعية الأساسية لساكنتها باعتمادها على المصادر المتاحة؛ ونجحت في تحقيق مطالب المجالية والاجتماعية الأساسية للسكان، وتجاوزت تسجل نقاط التنمية السالبة؛ كعدم توفر شبكة الماء الشروب، وشبكة الكهرباء، والمدرسة الابتدائية والاعدادية والثانوية، وطرق فك العزلة، ومستوصف صحي محلي، وخدمة النظافة... إلخ. فقد حققت العديد من الجماعات الترابية هذا المستوى من توفير الخدمات الأساسية للمجتمع، بل أكثر من ذلك، انتقلت بعض الجماعات من وضع ترابي قروي (اداري) إلى وضع ترابي يطلق عليه مركز قروي أو مدينة ناشئة. وكان هذا الانتقال الذي ساهمت فيه عوامل عدة من بينها توفير الخدمات الأساسية. وعليه أصبح سؤال التنمية بمجالها الترابي في مستوى آخر من أسئلة التنمية التي تستقصي خدمات الثقافة والفولكلور، والرياضة، والترفيه، ومقاربة النوع، والسياحة، والاقتصاد التضامني (التعاونيات) إلخ.

هنا يطرح سؤال التنمية في جماعة توغيلت، في أي مستوى يمكن طرحه، للأسف وحسب واقع بعض الخدمات الأساسية؛ ما يزال سؤال التنمية في جماعة توغيلت في هذا الطور من أسئلة المجال الترابي هناك. وهذا ما سيكشفه **تشخيص "بعض" الخدمات الأساسية بدواوير جماعة توغيلت⁽¹⁾** التي تتكون 35 دوار حسب تقسيم الإداري المعتمد، وبعدد ساكنة يقدر بحوالي 14764 نسمة و2589 أسرة⁽²⁾. وعلى ضوء هذا التشخيص ننتقل إلى إبراز بعض مضامين تشخيص المجال الترابي والاجتماعي لجماعة توغيلت، التي تعد من الجماعات الترابية المتخلفة عن قطار الخدمات الاجتماعية الأساسية.

(2)

- أولا: نوعية دواوير بجماعة توغيلت، ونوع السكن ومحاور الثقل الديمغرافي:

من بين أهم الملاحظات التي يمكن الإشارة إليها، التي تخص المجال الترابي لجماعة توغيلت في جانب التمييز بين الوحدات الترابية-الدواوير⁽³⁾؛ هناك دواوير تصنف على كونها دواوير مجزأة وهي كل من: بني سنانة، اولاد بوبكر، الزويهرات، اولاد الحاجة، اجماعة، اولاد الحمر، الطكاكعة، احميان، خالفات، البدور اولاد السنانية، اعسيلات، عين الحمرة، اصبيح، الحوافظ، الخنانسة.

ودواوير تصنف على أنها مجمعة، وهي كل من: لبدور أقرميد، لقباب، عين موسى، اقريبات، اشتاونة، القدادرة، الكراروة، اولاد منيع، لغواط، اولاد العلالى، اولاد الخدير، بني جميل، الحناشة، عزيز بلمواز، مراسن، الحاج بوعدة.

ويقدر عدد ساكنة الدواوير المجزأة (تقريبا 9000 نسمة) وهذا العدد ضعف عدد ساكنة الدواوير مجمعة (تقريبا 5000 نسمة).

ومن الملاحظات التي يمكن أن يسجلها أي ملاحظ ميداني لدواوير جماعة توغيلت، مشكل الحدود بين التجمعات الاجتماعية في تراب الجماعة:

- حيث تجد دوارا مجزأ، يحمل اسم وحدة واحدة، مع مفارقة أن هذه الوحدة أي الدوار تتكون من جزئيين منفصلين، قد تبعد المسافة بينهما حوالي 1 كلم، وربما أكثر.
- وتجد تجمع سكني واحد؛ أي على رقعة جغرافية واحدة بينتهما خذ تماس، وتداخل أي لا يبعد الدوار (أ) عن الدوار (ب) مسافة حقيقية ملموسة، ويحسب كل دوار على حدة. وهذا في حقيقة الأمر يجعل الجماعة غير واضحة المعالم من حيث الوحدات الترابية المشكلة لها. أي أن مسألة تصنيف الوحدات الاجتماعية هي مبهمة غير منسجمة مع تواجد الكوانين(المنازل).

ومن الملاحظات أيضا، التي يمكن أن يسجلها أي ملاحظ لدواوير جماعة توغيلت، من خلال مظهر المورفولوجي للعمران السكني، يلاحظ أن هناك بون شاسع بين دواوير فيما يخص نوع السكن، فيلاحظ أن هناك بعض الدواوير التي تقريبا جل مساكنها مبنية بالاسمنت المسلح، بينما دواوير أخرى جل منازلها مبنية بالتراب.

ومن الملاحظات العامة، التي يمكن ذكرها أن دواوير جماعة توغيلت تختلف من حيث الثقل الديمغرافي، حسب محاور تواجد

الدواوير؛ حيث يمكن تحدث عن أربعة محاور للثقل الديمغرافي في تراب جماعة توغيلت:

- المحور الأول: هو المحور الذي يمتد من دوار أولاد لحرمر، إلى دوار بني سنانة، وفي هذا المتصل على طول خط طريق P4232، P5324، تتواجد مجموعة من الدواوير التي يربط بينها متصل الطريق (P4232، P5324)، والقرب (نسبيا)، حيث في هذا المتصل يتواجد كل من دوار اشتاونة، واجمامعة، واطكاكعة، واقريبات، وأولاد الحاجة، والزويهرات، أولاد بوبكر، تعاونية الفخر. ويعيش في هذا المحور أزيد من 1400 أسرة.

- المحور الثاني: هو المحور الذي يتواجد به مركز الجماعة، يمتد من دوار تعاونية البناء إلى دوار حناشة، هذا المتصل يتواجد على واجهتي طريق الوطني رقم 13، ويدخل ضمنه دوار القباب، والكراروة، والبدور أولاد السنانية، وتعاونية الفخر-اعسيلات، اعسيلات، وعزيب بلمواز، وخنانسة، ومراسن ولغواط والحاج بوعزة. ويعيش في هذا المحور أزيد من 245 أسرة.

- المحور الثالث: هو المتصل بين دوار عين حمرة إلى دوار عين موسى، والذي تواجد ضمنه كل من دوار أولاد منيع، و اصبيح، وأولاد الطاهر، وبدور أقرميد، تعيش فيه أزيد من 195 أسرة.

- المحور الرابع: هو المتصل بين دوار قدادرة ودوار الحوافظ، مرورا بدوار بني اجميل، وأولاد العلال، وأولاد لخدير، تعيش فيه أزيد من 80 أسرة.

إن هذه المحاور تربط بينها شبكة من الطرق المصنفة، كالطريق الوطني والطرق الجهوية أو الإقليمية، وطرق غير مصنفة. ومن ملاحظ أن شبكة الطرق لفك العزلة عن الدواوير تم الاشتغال عليها خلال السنوات الماضية، لكن هناك منها تحتاج إلى تقوية أو إعادة تقوية؛ بمادة اسفلت (=الزفت)، وهنا تكمن نجاعتها.

(3)

- ثانيا: تفاوت الخدمات الأساسية بين دواوير جماعة توغيلت:

هناك مجموعة من القواسم المشتركة بين جميع الدواوير جماعة توغيلت من حيث الوضع التنموي العام؛ فحيث عاينت في دواوير الجماعة؛ تترأى لك أشكال ونوعية النقص في دواوير من حيث

بعض الخدمات الأساسية المعاينة. نستني منها خدمة الكهرباء التي أصبحت متجاوزة إن صح التعبير، حيث تجاوزت نسبة الاسر المستفيدة من هذه الخدمة، 94 في المئة بجماعة توغيلت خلال سنة 2014. مع تسجيل بعض الملاحظات حول بعض المنازل التي هنالك عائق أمامها للارتباط بالشبكة يكمن في توسيع الشبكة. ومنتقل الآن إلى تشخيص بعض الخدمات الأساسية التي تتوفر عليها مجموعة من الدواوير جماعة توغيلت، بينما بعض الدواوير لا تتوفر عليها أو تتواجد بها بشكل غير فعال. وهنا عمق سؤال التنمية بجماعة توغيلت:

أ- خدمة الماء الشروب

بينما تتوفر مجموعة من الدواوير على خدمة الماء الشروب عبر الرابط الفردي، أو الجماعي (سقايا)، أو هما معا؛ فإن هناك دواوير لا تتوفر على هذه الخدمة ولا تستفيد منها؛ برغم من تواجد بعض الدواوير على تجهيزاتها التحتية؛ ويشكل غياب خدمة الماء الشروب عن بعض الدواوير تجلي تخلف التنمية في جماعة توغيلت. ومن الجدير بالإشارة، مسألة أخرى تتعلق بالماء الشروب، حيث تجد بعض الوحدات تتوفر على خدمة؛ لكن؛ يلاحظ انقطاع الماء لأيام (حسب رأي الساكنة)، وهناك دواوير تشتكي من صبيب الماء، أي قوة عمل "الشاطو" وهذا مأزق تواجهه بعض الوحدات التي تستفيد من خدمة الماء الشروب. إن المخرج من تخلف الجماعة عن خدمة الماء الشروب، يكمن في تزويد الساكنة بالرابط الفردي، مع أخذ بعين الاعتبار إشكالية الصبيب.

ب- خدمة طرق أو المسالك لفك العزلة

تتموقع مجموعة من الدواوير في عمق الجماعة أو على أقصى حدودها من جهة، ومن جهة ثانية تبعد عن الطرق الأساسية التي تخترق الجماعة سواء طرق الوطنية (طريق الوطني رقم 13) أو طرق جهوية وإقليمية بعدد من الكلومترات (3-7) تقريبا. جل دواوير جماعة توغيلت تتوفر على طرق أو مسالك ترتبط بطريق مدخل الدوار، أو ترتبط مباشرة بمدخل الدوار، وعلى مستوى هذه الخدمة الحيوية، التي تحقق فك العزلة عن الدواوير وتربطه، كوحدة اجتماعية واقتصادية بشبكة طريق الوطنية أو الجهوية؛ تحتاج إلى تعبيد بالزفت، أي أن هناك مجموعة من الدواوير التي تحتاج إلى مسالك فك العزلة عنها مرصفة بأسفلت. وهذا أمر حيوي وضروري، فعلى سبيل المثال، من أهميتها إزالة العوائق عن الاستفادة من النقل المدرسي أي إيصال التلاميذ لدواويرهم، من جهة، ومن جهة أخرى تساهم

بشكل كبير في الحد من تعطيل مصالح الساكنة الاقتصادية. وإن مزيد تأخير هذه الخدمة يعني المزيد من معاناة الساكنة التي هي في أمس الحاجة لربطها مع محيطها السوسيواقتصادي.

ت- المدرسة الابتدائية

تتوفر جماعة توغيلت على مجموعة من المدارس الابتدائية (المركزيات والفرعيات)، وتتوسع هذه المدارس جل أبناء جماعة توغيلت. لكن هذه المدارس تطرح جملة من الإشكالات من بينها:

- تتواجد فقط في عدد محدود من الدواوير؛
- هناك مجموعة من الدواوير تبعد عن المدرسة الابتدائية بمسافة تبعد من 1 إلى 6 كلم تقريبا؛
- المدارس المتواجدة في الدواوير يحتاج عدد منها إلى توفير الخدمات الأساسية؛ كالتسييج، وبناء مرافق أساسية كالمراحيض وتهيئة الساحات والأقسام... إلخ. إن توفير المدرسة الابتدائية، بات مطلب أساسي على صعيد جماعة توغيلت، ولا بد من العمل على بناء مدارس تراعي مسافة القرب وسلامة تلاميذ.

ث- تجهيز مداخل الدواوير

مدخل الدوار، نقصد بهذه الخدمة هي: تلك الطريق، التي تستعمله كل الساكنة، ومنه تتفرع عنه الشوارع والمسالك والازقة داخل الدوار، وجل دواوير تتوفر على مدخل أساسي أو أكثر؛ تعد المداخل محاور استراتيجية للدواوير، فهي التي تربط الدوار بمسالك فك العزلة أو الطرق الوطنية والجهوية والإقليمية التي تخترق المجال الترابي لجماعة توغيلت، فتهيئتها يعني حل نصف نسبيًا مشاكل الدوار على مستوى البنية التحتية داخل الدوار المتعلقة بخدمات البنية التحتية. ويلاحظ على دواوير جماعة توغيلت أن هناك بعض من الدواوير التي تستفيد من تهيئة مدخل؛ مهينة بأسفلت، بشكل مبرمج أو عرضي. بينما أغلبية الدواوير لا تتوفر على هذه الخدمة، وغياب هذه الخدمة يعني تواجد عائق أمام حركة السكان الاجتماعية والاقتصادية، وبالخصوص في فصل الشتاء، حيث الوحل (الغيس) يعيق حركة الدوار الاجتماعية والاقتصادية.

لقد تناولنا في نقاط السالفة، بعض من الخدمات الأساسية التي تتواجد في بعض الدواوير ولا تتواجد في أخرى بجماعة توغيلت. والآن ننتقل إلى الوقوف على إعطاء نبذة عن واقع

بعض الخدمات الأساسية التي لا تتواجد أو غير فعالة في جميع دواوير جماعة توغيلت:

أ- غياب الطرق والشوارع المعبدة داخل الدواوير:

تعد خدمة الطرق والشوارع، في دواوير جماعة توغيلت من أكثر الخدمات غياباً في دواوير جماعة توغيلت، حيث جل دواوير جماعة توغيلت تعاني في هذا البعد، حيث حالة الشوارع والطرق داخل الدوار تحتاج للهيكلة والتعبيد. وتزداد وضعية البنية التحتية المتعلقة بالطرق والشوارع داخل الدواوير تدهوراً في كل موسم شتاء، حيث يهيمن الوحل (الغيس) ومياه الشتاء على شوارع وأزقة الدواوير. إن العمل على هذه الخدمة جزء لا يتجزأ من أولويات التدخل. وإن جل الساكنة يؤرقها واقع البنية التحتية داخل دواوير. إن حالة مجموعة من الدواوير من خلال هذه الخدمة تحتاج للتدخل والتهيئة في أسرع وقت ممكن، وإن آراء الساكنة، تتحدث عن طلب هذه الخدمة منذ سنوات عديدة. خصوصاً في الدواوير التي تربتها طينية بفعل الماء تتحول إلى وحل.

ب- غياب شبكة لصرف المياه المستعملة

يعد غياب قنوات لتصريف مياه المنزلية المستعملة، وخصوصاً في الدواوير المكتظة بالسكان، جزء لا يتجزأ من مشاكل البنية التحتية في دواوير جماعة توغيلت، حيث جل الدواوير تفتقد هذه الخدمة التي من شأنها رفع التلوث والأذى وقطع الطريق عن الساكنة. إن مظهر الشوارع والأزقة من خلال تصريف المياه المنزلية المستعملة، سواء كان مصدرها المطبخ أو الحمام، أو اسطبلات الماشية.. إلخ. تشكل مظهر من مظاهر ضعف تجهيزات البنية التحتية التي تؤرق الساكنة؛ ومن مسببات القلاقل الاجتماعية (خاصة). وظاهرة صرف مياه المستعملة في الشوارع والأزقة تنتشر في جل دواوير جماعة توغيلت، تشكل أحد أشكال أزمة السكن والبنية التحتية في أبرز تجلياتها. وتتطلب هذه الحالة اليوم، ادماجها في أي مشاريع تستهدف توفير خدمة الطرق والمسالك داخل الدوار.

في بعض الدواوير تجاوزت أخطار تصريف المياه المستعملة إلى الشوارع والأزقة، البعد البيئي والصحي، بل أضحت أهم إشكالية تسبب الخصومات بين الساكنة، ويمكن استشهاد في هذا الباب بعدد الدعاوى المعروضة على جهات المختصة في تلقي دعاوى رفع الضرر.

ت- مطاريج النفايات

على طول خط دواوير جماعة توغيلت، لا يوجد مطرح للنفايات يراعي شروط السلامة الأولية؛ فجل المطاريج عشوائية، تزداد حالتها التعفنية يوما بعد يوم، والأخطر في هذا، أن الجماعة تتوفر على معدات من شأنها أن تقلص حجم التلوث الناجم عن كثرة مطاريج النفايات العشوائية التي هي في تزايد مستمر. وللأمانة، قد استفادت بعض الدواوير من تدخلات الجماعة في هذا البعد حسب بعض الآراء من الساكنة، لكن هذا التدخل يبقى جد محدود ولا يحل إشكالية ومعضلة مطاريج النفايات من جدورها. إن حالات بعض الدواوير وبالخصوص الدواوير المكتظة بالسكان، والتي مجال امتلاك العقار الجماعي محدود فيها جدا، تكاد ترى في هذه الدواوير أهم "معالم" على ترابها هي كثرة المطاريج العشوائية التي تؤرق الساكنة وتتواجد على مفاصل الدواوير (وسط الدوار، قرب المسجد، قرب المدرسة، قرب المقبرة، قرب مدخل الدوار، قرب الواد...). وحينما نتحدث عن النفايات فنحن نتحدث عن جحيم متنوع: إلقاء مخلفات المطبخ، إلقاء مخلفات اسطبلات الماشية، إلقاء الحيوانات النافقة من طيور ومواشي، إلقاء حتى مخلفات حفرة الصرف الصحي... إلخ.

ث- الانارة العمومية

إن توفر الانارة العمومية جزء لا يتجزأ من خدمة الأمن الاجتماعي للساكنة. ففي جماعة توغيلت وعلى طول شوارع الدواوير هناك مصابيح تعمل وأخرى معطلة أو معطوبة، بينما شوارع وأزقة أخرى لا تستفيد من هذه الخدمة نهائيا. إن الجماعة عليها أن تعيد دراسة خريطة الانارة العمومية، وأن تقوم بأخذ بعين الاعتبار هوامش الدواوير ومفاصل الأساسية في كل دوار.

ج- النقل والنقل المدرسي

نظرا لتحولات التي عرفها المجال الترابي والاجتماعي في امتداد الترابي لإقليم سيدي قاسم، يمكن تحدث بشكل عام عن وضعية النقل، فالنقل الذي كان يشكل في العقود الفارطة، جزء يعرقل التنمية بمفهومها الواسع على صعيد الجماعات الترابية، ومنها جماعة توغيلت، بات مشهد النقل العام على صعيد الجماعة، إلى حد ما جزء من مشاكل الماضي، هذا بخصوص اليوم، حيث ينشط النقل المزدوج، وأنواع النقل الرسمي الأخرى في المنطقة، وقد ساهم النقل غير مرخص له من قبل السلطات؛ أي النقل السري أو ما يطلق عليه محليا "الخطافة"،

حل مشكلة تنقل ساكنة الدواوير سواء للتبضع الأسبوعي (السوق)، أو لقضاء حوائج الأسرة من مستلزمات الفلاحة، والبناء ونحوها. لكن المشكل الخطير في جماعة توغيلت، والذي يمكن أن يترتب عنه ضياع جيل بأكمله، هو النقل المدرسي؟

توفر جماعة توغيلت النقل المدرسي، وتدخل الجماعة ضمن الجماعات الترابية التي توفر هذه الخدمة لمجتمع تلاميذ المستويات الإعدادية والثانوية. لكن هذه الخدمة، ونظرا لأمر تتعلق بالتسيير والتدبير والامكانيات المالية والتباعد الجغرافي للدواوير، وحالة المداخل الرئيسية لها، والحالة الميكانيكية لسيارات النقل، وكذا طريق حالة الطريق الرباط بين طرق فك العزلة والمدرسة، ومن جهة أخرى ثمن الاشتراك. كل هذه العوامل تجعل نجاعة خدمة النقل المدرسي غير فعالة، أو لنقل غير مرضية من قبل الساكنة. ومن الملاحظات في هذا الباب أن هناك عدد من تلاميذ الدواوير التي اختارت الذهاب للمدرسة مع "خطاف" عوض الاشتراك مع نقل المدرسي، نظرا للأمر التالية:

- كلفة الاشتراك غالية؛ عدم إيصال النقل المدرسي لمدخل الدوار؛ الاكتظاظ لتلاميذ في حافلة النقل؛ عدد الرحلات محدود (أي لا تستجيب رحلات للاستعمال الزمني لتلاميذ)؛ الخوف مما يجري من اصطدامات بين تلاميذ في النقل... إلخ.

هذا عن الدواوير التي تدخل ضمن خريطة عمل مسير النقل على صعيد جماعة توغيلت، أما الدواوير التي لا تدخل في خريطة خطوطهم، فهي أصلا لا تستفيد من هذه الخدمة، حيث تجد تلاميذ يقطعون مسافة تزيد من 9 كلم في اليوم من أجل التمدرس، ومشكلة هؤلاء التلاميذ مزدوجة، المسافة والظروف المحيطة بتنقلهم راجلين، حيث طريقهم كله عقبات، والشمس الحارقة، البرد والأمطار في موسم الشتاء.

في ختام هذا المقال الذي يسלט ضواء على بعض إشكالات التنمية بجماعة توغيلت، التي يمكن القول عنها أنها في بعض الجماعات الترابية أصبحت من إشكالات محطات الماضي، بينما في جماعة توغيلت هي من إشكالات الحاضر، وربما لا يمكن حلها في السنوات القادمة نظرا لما يعلم به الجميع من أزمة مجلس جماعة توغيلت الحالي، حيث الانشقاق والتشنجات والصراع هو سيد الموقف لحد الساعة.

إسماعيل الراجي

¹ (للمزيد حول هذا الموضوع، أنظر دراسة الهيئة الاستشارية 2022، تحت عنوان تشخيص المجال الترابي لجماعة توغيلت من خلال بعض الخدمات الأساسية، ماي 2022، موجود في خزانة أعمال هيئة مساواة وتكافؤ الفرص ومقاربة النوع).

² (للمزيد حول إحصاءات الأساسية المتعلقة بجماعة توغيلت، نتائج إحصاء RGPH2014 المنشورة على موقع المندوبية السامية للتخطيط).

³ (للمزيد حول تصنيف دواوير جماعة توغيلت أنظر: - Données démographiques et socio-économiques de la population rurale (hors nomades) par douar selon le Recensement général de la population et de l'habitat de 2014. الصادر عن المندوبية السامية للتخطيط).